العالم يتطلع الى حدودنا الغربية

أربعون يوماً
فى الصحراء الغربية
للأستاذ عبد الله حبيب

— ٢ —

الخاتم

كان من حسن حظ الصحراء الغربية أن قيض الله لها محافظاً هماماً من رجال الجيش الباوزين هو صاحب العزة الأمير لاى عبد السميع بك مجرمة الذى تولى هذا المنصب خلفاً لسلفه الإنجليزى فكان أول محافظ مصرى يتولى منصب الحاكم لهذه البقاع النائية. وقد شعر سكان الصحراء الغربية منذ ذلك الحين بمصريتهم، واعتزوا بها أكثر من ذى قبل، وكان حاكمهم الجديد خير مصرى يشعر بآلام مواطنيه وحاجتهم إلى النهوض والإصلاح. وخير عون لهذا المصرى الكفء فى هذه الأنحاء هم رجاله الضباط المصريون. وفى طليعة هؤلاء القائمقام محمد بك كامل، والصاغ رفعت الجوهرى. وهذا الأخير يعتبر بحق وجدارة أكفأ ضابط مصرى ملم بأحوال الصحراء، وطباع أهلها وطرقها. وقد نشر له نادى السيارات الملكى كتاباً قيماً عن صحراء سينا، ثم وضع فى هذه الأيام كتاباً آخر عن الصحراء الغربية لا يزال بين يديه مهيأ للطبع. وقد طالعت أكثر فصوله واستعنت بكثير مما يحوى من المعلومات الطريفة على ما دونت فى رحلتى فلا بد من الاعتراف بفضل مؤلفه وشكره.

معلومات عامة

فى عهد «الفاروق» ملك مصر الصالح أسبغ الله على صحارى مصر نعمة الأمن والرخاء، وأعاد إليها عهدها الأول فى الحضارة والعمران. وكان عصر الفاروق من أزهى العصور التى مرت بهذه الصحارى والقفار، وأغدق عليها نعمه وعطاياه فهطلت الأمطار يوم تبوأ عرشه، وجادت هذه الأمطار بأطيب الثمرات بعد سبعة أعوام مرت بها قاحلة جرداء مجاف.

وقد أقبلت حكومة جلالته تنفق عن سعة على جميع مايقوى الروابط بين الأهلين ويعزز وسائل الإصلاح والتعمير فارتبطت أجزاؤها بالسكك الحديدية والطرق المعبدة

وإنه ليثير الدهشة حقاً أن يرى المسافر ذلك التباين العجيب بين هذه الروح الناضرة المحيطة بوادى النيل وبين هذه الصحارى المقفرة القاحلة التى تحيده من الجانبين. نعم إن هناك صحارى مجهولة فى مختلف بقاع العالم كآسيا وأستراليا وغرب أمريكا. إلا أن هذه البقاع لا تعد شيئاً إذا قورنت بصحراء مصر الغربية ووحشتها وخلوها من الحيوان والنبات. ذلك لأن حالة الجدب فيها تثير الدهشة حقاً، ولست فى حاجة لأن تتوغل فى مفاوزها وشعابها لكى تتبين مقدار ما بها من الجدب، فإن سير مسافة قصيرة يكفى لينقلك من مروج ناضرة وأرض خضراء يانعة غنية بطمى النيل السعيد إلى هضاب متسعة مقفرة تكتنفها الصخور والرمال إلى أبعد مدى يصل إليه النظر

الصحراء الغربية

يسمى القسم الشمالى «البحرى» من صحراء ليبيا بالصحراء الغربية أو محافظة الصحراء الغربية، وهى تشمل الجهات الواقعة غربى النيل من الإسكندرية ومديريات البحيرة والجيزة وبنى سويف

التى حدثت سنة ١٣ هـ، والتى كانت قبل الهجوم الأخير للعرب الذى كان الهجوم الفاصل الذى نالوا فيه الفوز. فى تلك الموقعة ركب المثنى إلى الرئيس المسيحى وقال له: «إنك من أبناء جلدتنا فتعال إذاً وحارب معى كما أحارب» وقد تراجع الفرس وتقهقروا أمام ما لاقوه من هجوم عنيف. وبذا أضاف المسلمون نصراً جديداً فى صفحة المجد إلى انتصاراتهم. وكان من أكثر مفاخرات ذلك اليوم شجاعة ما قام به شاب من قبيلة مسيحية أخرى فى الصحراء وكان هذا الشاب قد قدم فى جماعة من أصحابه — وهم طائفة من البدو تجار الخيل — حينما كان الجيش العربى قد أخذ ينسحب فى صفوف المعركة. اندفع هؤلاء التجار البدو إلى ميدان القتال فى صف مواطنيهم، وبينما كان القتال فى أشد عنفوانه إذ هجم ذلك الشاب إلى قلب الجيش الفارسى، وقتل قائده، ثم قفز على جواده الموشى، وقفل راجعاً بين حماس المسلمين وإعجابهم به وثنائهم عليه وكان يصيح فى عودته منتصراً ويقول: «أنا من تغلب. أنا الذى قتلت قائدهم[1]» «يتبع»

(١) أنظر كتاب الخلافة للسير وليام موير صفحات ٩٠ — ٩٤

وسيناء إلى السلوم وحدود طرابلس غرباً . ثم من البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى حدود الصحراء الجنوبية جنوباً وتليها واحات سيوة والبحرية والفرافرة

والجزء الأكبر من هذا الإقليم أرض قاحلة ، عدا المنطقة القريبة من ساحل البحر الأبيض التي تزرع على الأمطار وبعض الآبار القليلة الممتدة على الساحل أو القريبة منه أو التي توجد في الواحات المشار إليها

وتبلغ مساحة هذه الصحراء نحو ٢٤٠ ألفاً من الكيلومترات المربعة . وتنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية :

١ — القسم الشرقي : ومركزه مدينة العامرية ، وهو يشمل العامرية والحمام والواحات البحرية والفرافرة

٢ — وقسم مطروح : ومركزه مدينة مرسى مطروح ، وهو يشمل مطروح والضبعة

٣ — وقسم برانى : ومركزه مدينة برانى ، ويشمل سيدى برانى والسلوم

٤ — وقسم سيوة : ومركزه سيوة ، ويشمل سيوة والواحات القريبة وواحة الجارة

ويبلغ سكان هذه الصحراء نحو ٥٥ ألف نسمة معظمهم من البدو الرحل من قبائل أولاد على الأبيض وعلى الأحمر

الحالة العامة

ويمكن القول إجمالاً عن الصحراء الغربية — إذا استثنينا الشريط الأخضر الرفيع الذى يطوق شاطئ البحر الأبيض المتوسط — إنها عبارة عن إقليم لا مطر فيه ولا حياة . ويكاد يكون هبوب العواصف الرملية عليها من الأمور العادية التي لا تخلو منها في سنة من السنين

أما على الساحل فإن حالة السكان تتوقف دائماً على الزراعة ومقدار الحاصلات وما يتوفر من المراعى للابل والغنم من هطول الأمطار . ومما يذكر أن السكان في هذا العام والذى قبله أسعد حالاً منهم في الأعوام الماضية التي توالى عليهم فيها الضيق من جراء جدب أراضيهم بسبب قلة الأمطار

ولكن الحاصلات الناجحة لا تكفي لسد الديون التي تراكمت على العربان في سبيل حصولهم على حاجيات المعيشة في السنوات الخمس العجاف الماضية

ولقد كان لزيادة المشتات الجديدة واشتغال العربان في أثمان السكك الحديدية ومد الطرق وهطول الأمطار ومساعدة الحكومة توزيع البذور وهبة جلالة الملك لمناسبة قرانه السعيد وهبة صاحب السمو الأمير محمد على لمناسبة شفائه ؛ كان لكل ذلك أثر واضح في تعميم الرخاء واليسر بين العربان ، فشعروا بنعمة الحياة ، وعاد أكثرهم إلى بلدانهم بعد أن كانوا هاجروا منها ، وبدؤا يزرعون أراضيهم ويقومون بتربية مواشيهم

واحات الصحراء الغربية

وقد منّ الله على الجزء الجنوبي وعوضه خيراً من الأمطار بعدد من الواحات الخصبة الغزيرة المياه . وهذه الواحات يسكنها قوم من العرب وشعب آخر ليس من سلالة الأعراب وهم جميعاً يأخذون المياه من ينابيعها المتفجرة من عيون دائمة التدفق

ويقال إن لفظة « واحة » كلمة مصرية قديمة معناها « مكان الراحة » وهى بقعة من الأرض الخصبة في وسط الصحراء ، وكل واحة تعرف غالباً باسم العين أو البئر التي تمدها بالماء

وفي الصحراء الغربية عدة واحات :

« سيوة » وهى تشمل سيوه والزيتون وفوريشت والأرغوى وخميسة وأبو الشروق والنيج والمراعى

وفي شرقيها مجموعة الواحات البحرية وتشمل البحرية والفرافرة

كثبان من الرمل تتنقل

تمتد على طول الجزء الجنوبي الغربي من الصحراء كثبان عظيمة من الرمل تتنقل إلى مساحات واسعة وهذه الرمال تطغى على الأرض وتدفن تحت رمالها الناعمة الغزيرة مساحات شاسعة من الأرض قد تزيد على مئات الأميال ، وتتجمع هذه الرمال فتحدث كثباناً أو « تلالاً » من الرمال الناعمة تسير متوازية بارتفاع كبير ممتدة من الشمال أو الشمال الغربي إلى

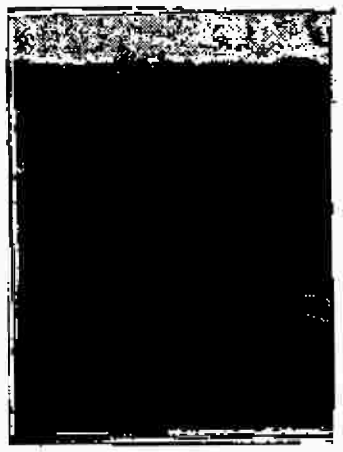

كثبان من الرمل المتنقل

الجنوب أو الجنوب الشرق فى نفس اتجاه سير الرياح التى تهب على الصحراء

وهذا التكوين يجعل اجتياز هذه المناطق فى اتجاهات عرضية من الغرب إلى الشرق أو بالعكس صعباً عسيراً إلا عند فتحات أو ممرات ضيقة معينة معروفة ، كما أن هذا التكوين جعل الكثبان تعد حاجزاً منيعاً للحدود المصرية . ويقال إن طغيان هذه الرمال أخذ فى الاتجاه نحو الجنوب بدليل أنها طغت على طريق للقوافل كانت ممتدة بين الواحات الداخلة وواحة الكفرة فاختفت هذه الطريق تماماً كما اختفى تحتها من قبل جيش قمبيز ملك الفرس سنة ٥٢٥ ق . م . وكان عدده ٥٠٫٠٠٠ من الغزاة ، وذلك عند ما أراد غزو واحة سيوه . ولم ينج من هذا العدد أحد ، على أن الواحات نفسها لم تسلم من هبوب عواصف الرمال فهى تطغى على الزرع وتحدث به أضراراً جسيمة .

وقد شهدنا بعض هذا الهبوب حين توغلنا فى جوف الصحراء إلى واحة سيوه فى رحلة بالسيارات قطعناها فى نحو تسع ساعات وبسرعة لا تقل عن ٦٠ كيلومتر فى الساعة وشهدنا فى منتصف هذا الطريق « الاستراحة » التى أقيمت به فى عهد الخديو السابق فأقمنا بها بعض الوقت وتناولنا فيها قليلاً من الزاد كنا حملناه معنا وهى غرف شيدت من الخشب أشبه بـ « فيلا » قائمة وسط الصحراء القاحلة يستريح فيها المحافظ والضباط خلال تجوالهم فى أنحائها .

« يتبع »

عبد الله

ملحوظة : مصدر هذه المعلومات التى استقيناها أثناء الرحلة وما دونه صديقنا الصاغ رفعت الجوهرى مأمور حرس مطروح من الصحراء الغربية

الرجل بعـــــد الأربعين

إذا بلغ الانسان الثلاثين أو الأربعين ابتدأ يشعر بالهبوط والانحطاط فى قواه الجسدية — إن الانسان يرتفع فى مقياس الشباب والصحة والقدرة إلى سن الأربعين ثم يبدأ بالنزول

ولكن لماذا يضعف الانسان وتضيع قواه بعد الأربعين — وعلى الأخص قواه الجنسية والتناسلية — الجواب هو أنه يوجد فى الجسم غدد هى مصدر كل قوة وحيوية وهذه الغدد تضعف بعد الأربعين وقبل إفرازها فيضعف معها الجسم وتحط قواه

إن من الواجب المقدس على الرجل بعد الأربعين أن يهتم بغدده أو أن يحافظ عليها لكى تقوم بوظيفتها على طول العمر — ووظيفة الغدد هى إفراز هرمونات فى الجسم تملأه قوة وحيوية ونشاطا حتى إن الانسان يشعر كأنه فى العشرين مع أنه تجاوز الخمسين وهذه الغدد هى الغدد الصماء

إن سر الشباب وسر القوة والحيوية هو فى هذه الغدد — إذا رأيت رجلا ضعيفا تبدو فى أعماله جميع علامات الضعف تأكد أن ضعف هذا الرجل وانحطاطه وعجزه للبكر هو فى غدده التى تقوم بوظيفة إفراز الهرمونات تظهر على الجسم جميع علامات الشيخوخة المبكرة

إذا كانت غددنا لاتفرز الهرمونات بانتظام فعلينا أن نعالجها بمقويات طبية مضمونة لنعود الى نشاطها وعملها فننعم حالا بفرق هائل فى قوانا الجنسية والحيوية وفى شبابنا ونشاطنا

إن بعض الأطباء فى أوربا يجيزون عملية جراحية يستأصلون بها بعض الغدد ويضعون مكانها غددا جديدة . لكن العلم أثبت أن لا حاجة لهذه العملية لأنه فى الامكان إعادة النشاط والقوة والحيوية إلى هذه الغدد باعطائها خلاصة الغدد نفسها

لقد توصلت معامل إلن وهنبرس الشهيرة فى لندن إلى تحضير أقراص فيدا — جلاند التى تعيد إلى الغدد قوتها ونشاطها ونظام عملها . هذا المركب الطبى قائم على مبدأ « البرنش ثيرموكونيا » وهو عبارة عن أكيد لاشاط الغدد تفرز الهرمونات وتعيد إلى الجسم قواه الجنسية والتناسلية والحيوية والشباب والفتوة والحماء والثانية

عند ذلك يمكنه أن يقوم بواجباته التناسلية دون أن يبذل أى مجهود جسدى وعود عليه بالنفع .

لا تترك غددك تائهة كسفينة ضعيفة بائسة تائهة فى بحر طامى يعيد لها الحياة والقوة . خذ أقراص الفيتا — جلاند « الغدد الجديدة » تحضير معامل إلن وهنبرس فى لندن بانكلترا

الفيتا — جلاند مركب طبى علمى من خلاصة غدد طازجة ومفعوله مضمون بأنه يغذى الغدد ويقويها

فيدا — جلاند : تحضير معامل النبريس لندن

الوكلاء الوحيدون : الشركة المصرية البريطانية التجارية ٢١ شارع الملكة فرحة بمصر ١٢ شارع النبى دانيال بالاسكندرية . بيروت شارع فوش . ويافا شارع تل أبيب